المحاضرة الخامسة: المبادئ البنيوية السوسورية

▪ **نبذة عن حياة دسوسير**: ولد العالم اللساني فرديناند دسوسير، عام 1857 من أسرة سويسرية ذات أصل فرنسي، التحق بجامعة لايزبتش Laysbish، تتلمذ على يد "جورج كوريتورس". كانت أولى أبحاثه رسالته التي تحمل عنوان: النظام البدائي للمصوتات، في اللغات الهندية الأوروبية (1878)، أما أطروحة الدكتوراه التي ناقشها عام 1879، فقد كانت بعنوان: حالة المضاف إليه في اللغات القديمة أو السنسكريتية. وفي سنة 1880، سافر إلى باريس ليقيم فيها ويتولى تدريس اللسانيات العامة و التاريخية وبعد وفاته وفي سنة 1913 جمع طلبته كل دروسه لينشروها عام 1916 في مؤلف بعنوان " محاضرات في اللسانيات العامة"

2. البنية و البنيوية:

البنية لغة: هي مشتقة من الكلمة اللاتنية structura وتعني بنى.

في علم اللسان:البنية اللغوية هي نظام علاقات تربط فيما بينها مجموعة من المعطيات اللسانية التي توظف حسب قوانين محددة.بمعنى ان البنية هي الكل المتكون من نظام من العلاقات التي تسير اللسان.

البنيوية:هي منهج بحث مستخدم في عدة تخصصات علمية تقوم على دراسة العلاقات بين العناصر الاساسية لبنى يمكن ان تكون عقلية مجردة، لغوية، اجتماعية، ثقافية، وبالتالي فان البنيوية تصف مجموعة نظريات مطبقة في علوم و مجالات مختلفة مثل الانسانيات و العلوم الاجتماعية و الاقتصاد. لكن ما يجمع جميع هذه النظريات هو تأكيدها على ان العلاقات البنيوية بين المصطلحات تختلف حسب اللغة،الثقافة، وأن هذه العلاقات البنيوية بين المكونات يمكن كشفها، ودراستها. وبالتالي تصبح البنيوية مقاربة او طريقة او منهج ضمن التخصصات الاكادمية بشكل عام يستكشف العلاقات الداخلية للعناصر الاساسية في اللغة، الادب او الحقول المختلفة للثقافة بشكل خاص مما يجعلها على صلة وثيقة بالنقد الادبي

في علم اللسان:اللسانيات البنيوية هي المنهجية المتبعة من اجل دراسة اللسان كبنية.

عند دسوسير:اصبحت البنية تعني: هي التي لا يمكن تعريفها الا بالرجوع اليها لوصفها بناءا او نظاما. أي بالرجوع إلى علاقاتها الداخلية الموجودة بين الدال و المدلول، بدلا من علاقاتها الخارجية المتمثلة في السياق الاجتماعي، السياسي، التاريخي...الخ لانها توظف على اساس تناقضاتها الداخلية فقط .

تاريخ البنيوية:يمكن اعتبار البنيوية كاختصاص اكاديمي او مدرسة فلسفية بدأت حوالي 1958، وبلغت ذروتها في الستينات و السبعينات، برزت البنيوية في بداياتها في مطلع القرن 19 ضمن علم النفس.

- يمكن إرجاع أصول البنيوية بوصفها مدرسة فكرية إلى عدة جذور:

- أحدها يمتد على الأنتروبولوجيا البريطانية والفرنسية.

الآخر يشكل جزء ًا أساسي ًا من تراث علم الاجتماع الفرنسي، مع "أوغوست كونت" في أوائل القرن 19، و "دوركايم" في بداية القرن 20.

- وهناك أصل ثالث للبنيوية يعود إلى الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانط" بفكرته المهمة عن امتلاك ملكات عقلية.
- وهناك مصدر آخر للبنيوية وهو أهمها جميعا تعود أصوله إلى المدرسة اللسانية البنيوية وأعمال فرديناند دسوسير حيث حولت أفكاره الدراسات اللغوية نحو عهد جديد.

▪ **أهم أفكار دسوسير**: من القضايا التي أثارها دسوسير:

- التفريق بين اللغة واللسان.
- التفريق بين اللغة والكلام.
- أشار إلى المنهج قي دراسة اللّغة.
- العلاقة بين الدّال والمدلول.
- طبيعة العلامة (الإشارة اللّغوية).

ومن الأمور التي اشتهر بها دسوسير استخدامه لظاهرة تمثلت في الثنائيات Dichotomies متأثر ًا في ذلك بالنظرية الكلاسيكية القائلة بأن ثمة وجهين مختلفين لكل شيء في الكون كلاهما يكمل الآخر. وقد ظهرت هذه الفكرة من قبل أرسطو وديكارت، واستعملها دسوسير فيما بعد من جديد في شكل دعائم مزدوجة أو تفرعات ثنائية.

- أكّد دسوسير على أهمية الكلام عوض النصوص المكتوبة.
- أهمية تحليل النظام الباطني للغة بدلاً من المقارنات المعجمية.
- أكّد على أهمية وضع اللّغة في وسطها الاجتماعي بدلا من النظر إليها بوصفها حملة من السمات الفيزيائية.

وعموما تطرق دسوسير إلى عدة مسائل نذكر منها (أهم ما جاء في كتابه):

1. **اللسانيات:** يرى دسوسير أن اللسانيات فرع من السميولوجيا.

قدم لمحة عن تاريخ اللسانيات، أهمية اللسانيات وعلاقتها بالعلوم الأخرى.

2. اللسان - اللغة - الكلام: يرى دسوسير أن الظاهرة اللغوية تتمثل في 3 مصطلحات أساسية: اللسان - اللغة -الكلام، ويقول بأن اللّسان يضم اللّغة والكلام، وقال بأنه لا ينبغي الخلط بين اللغة واللّسان وأن اللغة جزء منه، بل عنصر أساسي، واللّسان متعدد الجوانب ومتغاير الخواص، ينتمي إلى الفرد والمجتمع في نفس الوقت.

اللغة في نظر دسوسير واقعة اجتماعية متواجدة في عقول الناس، بل في عقول جميع الأفراد الناطقين بلسان معين، ودسوسير يشبه اللغة بالقاموس وهي كنز اجتماعي، وأكّد على الطابع الاجتماعي للغة، متأثر ًا بأفكار دوركايم عن الضمير الجمعي.

الكلام: هو الاستعمال الفردي للغة.

3. اللسانيات الآنية والزمانية: كانت اللسانيات السائدة في القرن 19 هي لسانيات تاريخية، ولم يكن هناك تميز بين الدراسة الآنية والدراسة الزمانية، ولكن دسوسير فر ّق بين اللسانيات الآنية التي تدرس أية لغة دراسة وصفية في نقطة زمنية معينة، وبين اللسانيات الزمانية التي تتناول دراسة المتغيرات، والتطورات المختلفة التي تطرأ على اللغة عبر الزمن.

4. العلامة اللغوية: اللغة في نظر دسوسير عبارة عن مستودع من العلامات، والعلامة وحدة أساسية في عملية التواصل بين أفراد مجتمع معين، وتضم جانبين:الدّال والمدلول، فالدّال هو صورة سمعية والمدلول متصور ذهني.

- اعتباطية العلامة: بما أن الربط بيندالّال والمدلول اعتباطي، فقد عدّ دسوسير العلامة اللّغوية اعتباطية.

- ثبوت العلامة وتغيرها:

*** الثبوت:**وصف العلامة بالتغير والثبات في آن واحد قد يبدو أمر ًا متناقض ًا، ولكنه بمقابلة النقيضين، أراد أن يؤكد على أن اللغة تتغير على الرغم من عدم مقدرة الناطقين بها على تغيرها، وعادة ما تميل العلامات إلى الثبات لأن هناك قوىتعمل على منع التغيّر اللّغوي مثل الجمود الذي تتميز به اللّغة (التغير اللّغوي السريع، أمر مستبعد).

*** التغير:** تتغير اللغة بصورة تدريجية عبر الزمن، ويمس هذا التغير خاصة أشكال المفردات ومعانيها، ويقصد دسوسير بالتغير تلك التغيرات الصوتية التي تصيب الدّال أو المدلول،

ويقول دسوسير أن اللغة عاجزة عن الدفاع عن نفسها ضد القوى التي تغير من حين إلى حين العلاقة بين الدّال والمدلول.

5. القيمة اللغويةإن اللّغة في نظر دسوسير لا يمكن أن تكون إلا نظامًا من القيم المجردة، وتكمن قيمة الكلمة في خاصيتها التي تمكنها من تمثيل فكرة معينة. وقد أحد دسوسير مصطلح القيمة من الاقتصاد، إذ يمكن تبديل قطعة نقود مقابل خبزة مثلا، ويمكن تبديل كلمة بتصور أو معنى.

———